

التبيان في تفسير القرآن

(435) أن يحمل عليه من أن يجعل (غير) صفة ل (إله) على الموضع. فان قلت ما ينكر أن يكون " إلا ا " صفة ل (إله)؟ قيل: إن (الا) بكونها استثناء أعرف وأكثر من كونها صفة. وإنما جعلت صفة على التشبيه بغير، فاذا كان الاستثناء أولى حملنا " هل من خالق غير ا " (2) على الاستثناء من النفي في المعنى، لان قوله " هل من خالق غير ا " بمنزلة ما من خالق غير ا، ولا بد من اضمار الخبر، كأنه قال: ما من خالق للعالم غير ا، ويؤكد ذلك قوله " لا إله الا ا " (3) فهذا استثناء من منفي مثل لا أجد في الدار إلا زيدا. فأما حمزة والكسائي فانهما جعلوا (غير) صفة لخالق وأضمرا الخبر، كما تقدم. والباقون جعلوه استثناء بدلا من النفي، وهو أولى لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله " وما من إله إلا ا " (4). أخبر ا تعالى وأقسم على خبره - لان اللام في قوله " لقد " لام القسم - بأنه أرسل نوحا (ع) إلى قومه وإرساله إياه هو تكليفه القيام بالرسالة وهي منزلة جلية شريفة يستحق بها الرسول بتقلبه إياها والقيام بآعبائها أن يعظم أعلى تعظيم البشر، وأخبر أن نوحا قال لقومه " يا قوم اعبدوا ا " والعبادة هي الخضوع بالقلب في أعلى مراتب الخضوع يعظم به من له أعظم النعم، فلذلك لا يستحق العبادة غير ا، وأخبر أنه أمرهم بأن تكون عبادتهم وحده، لانه لا إله لهم غيره، ولا معبود لهم سواه. وقال لهم " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " يريد به يوم القيامة، والعذاب هو الالم الجاري على استمرار، وقد يكون غير عقاب، إلا أن المراد به - ههنا - العقاب. والعقاب الامل على ما كان من المعاصي. ولم يجعل خوفه عليهم على وجه الشك، بل أخبرهم أن هذا العذاب سيحل بهم إن لم يقبلوا _____ (2)

سورد 35 فاطر آية 3. (3) سورة 37 الصفات آية 35. وسورة 47 محمد آية 19. (4) سورة 3 آل عمران آية 62.